The Word for Today	الكَلِمَة لِهَذا اليَوم
John 12:20–50	إنجيل يوحنَّا 12: 20–50
wt_us03_0256_c25	الحلقة الإذاعيَّة رقم: 142
Pastor Chuck Smith	الرَّاعي تشَكْ سميث

[المُقَدِّمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

أهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ صَديقي المُستَمِع في حَلْقَةٍ جَديدَةٍ مِنَ البَرْنامَجِ الإذاعيِّ ''الكَلِمَة لِهَذا اليَوم'' حَيْثُ سَنُصْغي إلى تَفْسيرٍ لآياتٍ مِنْ إنْجيلِ يُوحَنَّا على فَمِ الرَّاعي ''تشك سميث''.

[المُقَدِّمة]
(الرَّاعي ''تْشَكْ سميث'')

لَقَدْ قالَ الربُّ يَسوعُ: **''إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ''**. وَقَدْ كَانَ يُشيرُ بِذَلِكَ إلى مَوْتِهِ على الصَّليب فِداءً عَنِ البَشَرِيَّةِ جَمْعاء!

(مُقَدِّم البَرنامَج)

هُناكَ مُفارَقاتٌ كثيرةٌ في الحياةِ المسيحيَّةِ! وَقَدْ لا نَرى ذَلِكَ بوضوحٍ إلَّا عِنْدَما نُدْرِكُ أنَّ الطَّريقَ الذي يَدْعونا اللهُ الحَيُّ إلى سُلوكِهِ يُناقِضُ تَمامًا الطَّريقَ الذي يَدْعونا العَالَمُ إلى السَّيْرِ فيه! وَفي هَذِهِ الحَلْقَةِ مِنَ ''الكَلِمَة لِهَذا اليوم'' سَوْفَ يُتابِعُ الرَّاعي ''تشك سميث'' تَفْسيرَهُ لإنْجيلِ البَشيرِ يُوحَنَّا مُرَكِّزًا على مَقْطَعٍ قَالَ فيهِ يَسوعُ لتلاميذِهِ إنَّ المِفْتاحَ للعُثورِ على الحياةِ الأبديَّةِ هُوَ المَوْت! وَمَعَ أنَّ هَذِهِ لا تَبْدو فِكْرَةً مَقْبولَةً في عَالَمِنا الماديِّ الذي يُرَكِّزُ على الذَّاتِ، فَإنَّهُ مَبْدَأٌ رُوحِيٌّ يَنْبَغي لِكُلِّ مُؤمِنٍ مَسيحيٍّ أنْ يَتَعَلَّمَهُ وَيُطَبِّقَهُ في حَياتِهِ اليَوْمِيَّة!

والآنْ، أتْرُكُكُمْ أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعين مَع دَرْسٍ جَديدٍ مِنَ إنجيلِ يُوحَنَّا بَدْءًا بالأصْحاحِ الثَّاني عَشَر وَالعَدَد 20؛ دَرْسًا أعَدَّهُ لَنا الرَّاعي ''تشك سميث'':

[العِظَة]
(الرَّاعي ''تْشَكْ سميث'')

كُنَّا قَدْ قَرَأنا في إنْجيل يُوحَنَّا 12: 12 16:

وَفِي الْغَدِ سَمِعَ الْجَمْعُ الْكَثِيرُ الَّذِي جَاءَ إِلَى الْعِيدِ أَنَّ يَسُوعَ آتٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ، فَأَخَذُوا سُعُوفَ النَّخْلِ وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، وَكَانُوا يَصْرُخُونَ: «أوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» وَوَجَدَ يَسُوعُ جَحْشًا فَجَلَسَ عَلَيْهِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «لاَ تَخَافِي يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي جَالِسًا عَلَى جَحْشٍ أَتَانٍ». وَهذِهِ

الأُمُورُ لَمْ يَفْهَمْهَا تَلاَمِيذُهُ أَوَّلاً، وَلكِنْ لَمَّا تَمَجَّدَ يَسُوعُ، حِينَئِذٍ تَذَكَّرُوا أَنَّ هذِهِ كَانَتْ مَكْتُوبَةً عَنْهُ، وَأَنَّهُمْ صَنَعُوا هذِهِ لَهُ.

يُخْبِرُنا البَشيرُ يُوحَنَّا صَراحَةً أَنَّهُمْ (أي: التَّلاميذ) لَمْ يَفْهَموا مَا حَدَثَ إِلَّا عِنْدَما تَمَجَّدَ يَسوعُ. فَحينئذٍ فَقَطْ، تَذَكَّروا أَنَّ مَا حَدَثَ في هَذا اليوم قَدْ ذُكِرَ في نُبوءَةِ زَكَرِيَّا إِذْ نَقْرَأُ في العَدَد 9: 9: **''اِبْتَهِجِي جِدًّا يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ، اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ، وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ''**.

ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَد 17:

وَكَانَ الْجَمْعُ الَّذِي مَعَهُ يَشْهَدُ أَنَّهُ دَعَا لِعَازَرَ مِنَ الْقَبْرِ وَأَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ.

فَقَدْ كَانُوا يُخْبِرونَ الجَميعَ وَيَشْهَدونَ أمامَ الجَميع عَنْ مُعْجِزَةِ إقامَةٍ لِعازَر مِنَ المَوْت.

ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَد 18:

لِهذَا أَيْضًا لاَقَاهُ الْجَمْعُ، لأَنَّهُمْ سَمِعُوا أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ هذِهِ الآيَةَ.

فَقَدْ كَانَتِ مُعْجِزَةُ إقامَةٍ لِعازَرَ مِنَ المَوْتِ مُدْهِشَةً حَقًّا! لِذَا، فَقَدْ جَاءَ جَميعُ الشَّعْبِ لِمُلاقاةِ يَسوعَ الذي صَنَعَ تِلْكَ المُعْجِزَة.

ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَدَيْن 19 و 20:

فَقَالَ الْفَرِّيسِيُّونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «انْظُرُوا! إِنَّكُمْ لاَ تَنْفَعُونَ شَيْئًا! هُوَذَا الْعَالَمُ قَدْ ذَهَبَ وَرَاءَهُ!» وَكَانَ أُنَاسٌ يُونَانِيُّونَ مِنَ الَّذِينَ صَعِدُوا لِيَسْجُدُوا فِي الْعِيدِ.

مِنَ الواضِحِ أَنَّ الفَرِّيسِيِّينَ كَانُوا مُغْتاظينَ جِدًّا مِنْ يَسوع. وَنَقْرَأُ هُنا أَنَّ يُونانِيِّينَ صَعِدوا أَيْضًا لِيَسْجُدوا في العِيْد. وَقَدْ كَانَ أولئِكَ مِنَ الأُمَمِ المُهْتَدينَ إلى اليَهودِيَّة.

ثُمَّ نَقْرَأُ في الأعْداد 21 24:

فَتَقَدَّمَ هؤُلاَءِ إِلَى فِيلُبُّسَ الَّذِي مِنْ بَيْتِ صَيْدَا الْجَلِيلِ، وَسَأَلُوهُ قَائِلِينَ: «يَا سَيِّدُ، نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ» فَأَتَى فِيلُبُّسُ وَقَالَ لأَنْدَرَاوُسَ، ثُمَّ قَالَ أَنْدَرَاوُسُ وَفِيلُبُّسُ لِيَسُوعَ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَأَجَابَهُمَا قَائِلاً: «قَدْ أَتَتِ السَّاعَةُ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ الإِنْسَانِ. اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ.

وَيا لَها مِنْ صُورَةٍ جَميلَةٍ وَرائِعَة! فَإنْ وَضَعْنا حَبَّة حِنْطَةٍ في مَكانٍ غَيْرَ التُّرْبَةِ وَتَرْكناها سَنَواتٍ عَديدَةٍ، فإنَّها سَتَبْقى على حَالِها. أمَّا إنْ دُفِنَتْ حَبَّةُ الحِنْطَةِ في الأرْضِ وَماتَتْ، فَإنَّها تُنْتِجُ ثَمَرًا. فبالمَوْتِ تُوْلَدُ الحَياةُ! وَقَدْ كَانَ يَسوعُ يُشيرُ هُنا إلى مَوْتِهِ. فَمِنْ خِلالِ مَوْتِهِ على الصَّليبِ، سَوْفَ يأتي بِثَمَرٍ كَثير!

وَيُتابِعُ يَسوعُ حَديثَهُ قَائِلًا في العَدَد 25:

مَنْ يُحِبُّ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُبْغِضُ نَفْسَهُ
فِي هذَا الْعَالَمِ يَحْفَظُهَا إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ.

وَقَدْ كَانَ يَسوعُ قَدْ قَالَ مِنْ قَبْل: **''مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا''**. وَهُوَ يُؤكِّدُ المَبْدَأ نَفْسَهُ هُنا. فالشَّخْصُ الذي يَعيشُ لأجْلِ مُتَع الحَياةِ وَمَلَذَّاتِها، يُهْلِكُ نَفْسَهُ. أمَّا الشَّخْصُ الذي يُضَحِّي بِأشْياءَ كَثيرَةٍ لأجْلِ السيِّدِ المَسيح، فَإنَّهُ يَحْفَظُ نَفْسَهُ إلى حَياةٍ أبديَّةٍ.

وَيُتابِعُ يَسوعُ كَلامَهُ قَائِلًا في إنْجيل يُوحَنَّا 12: 26 28:

إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي فَلْيَتْبَعْنِي، وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا هُنَاكَ أَيْضًا يَكُونُ خَادِمِي. وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ يَخْدِمُنِي يُكْرِمُهُ الآبُ. اَلآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ. وَمَاذَا أَقُولُ؟ أَيُّهَا الآبُ نَجِّنِي مِنْ هذِهِ السَّاعَةِ؟ وَلكِنْ لأَجْلِ هذَا أَتَيْتُ إِلَى هذِهِ السَّاعَةِ.

وَلَعَلَّكَ تَذْكُرُ، صَديقي المُسْتَمِع، أنَّ يَسوعَ قالَ أكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ إنَّ سَاعَتَهُ لَمْ تَأتِ بَعْد. أمَّا الآنْ، فَقَدِ اقْتَرَبَتِ السَّاعَة. لِهَذا، فَإنَّ يَسوعَ يَقولُ هُنا: **''الآنَ نَفْسِي قَدِ اضْطَرَبَتْ!''** وَكَيْفَ عَساهُ يُصَلِّي في وَقْتٍ كَهَذا؟ هَلْ يَطْلُبُ مِنَ الآبِ أنْ يُنَجِّيهِ مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ؟ لا! فقَدْ جَاءَ يَسوعُ لأجْلِ هَذِهِ الغَايَةِ تَحْديدًا؛ أيْ لِكَيْ يَموتَ على الصَّليب!

ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَد 28 أنَّ يَسوعَ قالَ:

أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ!» فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: «مَجَّدْتُ، وَأُمَجِّدُ أَيْضًا!»

وَهَذا يُذَكِّرُنا بِصَلاةِ يَسوعَ في بُسْتانِ جَثْسَيْماني إذْ قالَ: **''يَا أَبَتَاهُ، إِنْ أَمْكَنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسُ، وَلكِنْ لَيْسَ كَمَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ كَمَا تُرِيدُ أَنْتَ''**. وَما أرْوَعَ أنْ نَتَمَثَّلَ بالسيِّدِ المَسيحِ في أنْ نُخْضِعَ مَشيئَتَنا وَطُرُقَنا لِمَشيئَةِ اللهِ الآبِ وَطُرُقِه! فَمَعَ أنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أنَّ سَاعَتَهُ قَدْ حَانَتْ، فَقَدْ قَالَ للهِ الآبِ: ''**أَيُّهَا الآبُ مَجِّدِ اسْمَكَ!'' فَجَاءَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ: ''مَجَّدْتُ، وَأُمَجِّدُ أَيْضًا!''**

ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَدَيْن 29 و 30:

فَالْجَمْعُ الَّذِي كَانَ وَاقِفًا وَسَمِعَ، قَالَ: «قَدْ حَدَثَ رَعْدٌ!» وَآخَرُونَ قَالُوا: «قَدْ كَلَّمَهُ مَلاَكٌ!» أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ: «لَيْسَ مِنْ أَجْلِي صَارَ هذَا الصَّوْتُ، بَلْ مِنْ أَجْلِكُمْ.

فَفي حَقيقَةِ الأمْرِ أنَّ الربَّ يَسوعَ لَمْ يَكُنْ بِحاجَةٍ إلى سَماعِ هَذا الصَّوْتِ، بَلْ إنَّ الصَّوْتَ جَاءَ مِنْ أجْلِ الجَمْعِ! وَيُتابِعُ يَسوعُ كَلامَهُ قائِلًا في العَدَد 31:

اَلآنَ دَيْنُونَةُ هذَا الْعَالَمِ. اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هذَا الْعَالَمِ خَارِجًا.

فَقَدْ كَانَ الجَمْعُ يَصيحُ: ''خَلِّص الآن!'' لَكِنَّ يَسوعَ قَالَ: ''لا! الآنَ دَيْنونَةُ هَذا العَالَمِ''. فَلأنَّهُمْ سَيَصْلِبونَ ابْنَ اللهِ، فَإنَّهُمْ سَيَجْلِبونَ الدَّيْنونَةَ على أنْفُسِهِم وَيَدينونَ أنْفُسَهُمْ بِأنْفُسِهِم. وَقَدْ قَالَ يَسوعُ أيْضًا: ''الآنَ يُطْرَحُ رَئيسُ هَذا العَالَمِ (أيْ: الشَّيْطان) خَارِجًا. فَفي الجُلْجُثَة، أَلْحَقَ السيِّدُ المَسيحُ بالشَّيْطانِ هَزيمَةً نَكْراء!

وَيُتابِعُ يَسوعُ كَلامَهُ قائِلًا في العَدَد 32:

وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ».

فَقَدْ قَالَ يَسوعُ قَبْلَ قَليلٍ: **''إِنْ لَمْ تَقَعْ حَبَّةُ الْحِنْطَةِ فِي الأَرْضِ وَتَمُتْ فَهِيَ تَبْقَى وَحْدَهَا. وَلكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ''**. وَها هُوَ يَقولُ الآنَ: **''وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ''**.

وَيَقولُ البَشيرُ يُوحَنَّا مُوَضِّحًا في العَدَد 33:

قَالَ هذَا مُشِيرًا إِلَى أَيَّةِ مِيتَةٍ كَانَ مُزْمِعًا أَنْ يَمُوتَ.

أجَلْ يا صَديقي! فَعِنْدَما تَحَدَّثَ يَسوعُ هُنا عَنِ ارْتِفاعِهِ عَنِ الأرْضِ، كانَ يَتَحَدَّثُ عَنْ مَوْتِهِ على الصَّليب. وَهَذا هُوَ ما أكَّدَهُ البَشيرُ يُوحَنَّا في هَذا العَدَد لِكَي يَدْحَضَ أيَّ رَأيٍ آخَرَ أوْ تَفْسيرٍ آخَر. فَقَدْ فَهِمَ البَعْضُ أنَّ يَسوعَ يُشيرُ هُنا إلى صُعودِهِ إلى السَّماءِ. بِعِبارَةٍ أُخرى، فَقَدْ فَهِموا أنَّهُ يُشيرُ إلى أنَّهُ عِنْدَما يَتَمَجَّدُ في قِيامَتِهِ وَصُعودِهِ، فَإنَّهُ سَيَجْذِبُ إليهِ الجَميع. لكِنَّ البَشيرَ يُوحَنَّا يَدْحَضُ هَذا التَّفسيرَ بِجُمْلَتِهِ إذْ يَقولُ بوضوحٍ تَامٍّ إنَّ يَسوعَ قالَ هَذا مُشيرًا إلى مَوْتِهِ على الصَّليب.

ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَد 34:

فَأَجَابَهُ الْجَمْعُ: «نَحْنُ سَمِعْنَا مِنَ النَّامُوسِ أَنَّ الْمَسِيحَ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَفِعَ ابْنُ الإِنْسَانِ؟ مَنْ هُوَ هذَا ابْنُ الإِنْسَانِ؟»

نَرى هُنا أنَّ الجَمْعَ لَمْ يَتَقَبَّلْ فِكْرَةَ ارْتِفاعِ المَسيح (أوْ مَوْتِهِ). فَقَدْ جَاءَ في نُبوءَةِ إشَعْياء 9: 6 و 7 عَنِ المَسِيَّا: **''لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا،**

مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ. لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ، وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ، لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ، مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَدِ''. وَقَدْ جَاءَ أَيْضًا في سِفْرِ دانيال 7: 14 أنَّ سُلْطانَ المَسِيَّا **''سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ ... لَنْ يَزُولَ''**، وَأنَّ مَلَكُوتَهُ **''لاَ يَنْقَرِضُ''**. لِذَلِكَ فَقَدْ سَأَلَ الجَمْعُ يَسوعَ: **''نَحْنُ سَمِعْنَا مِنَ النَّامُوسِ أَنَّ الْمَسِيحَ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَرْتَفِعَ ابْنُ الإِنْسَانِ؟''** ثُمَّ سَألوهُ سُؤالًا آخَرَ قائِلين: **''مَنْ هُوَ هذَا ابْنُ الإِنْسَانِ؟''**

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ في العَدَدَيْن 35 و 36:

«النُّورُ مَعَكُمْ زَمَانًا قَلِيلاً بَعْدُ، فَسِيرُوا مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ لِئَلاَّ يُدْرِكَكُمُ الظَّلاَمُ. وَالَّذِي يَسِيرُ فِي الظَّلاَمِ لاَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. مَا دَامَ لَكُمُ النُّورُ آمِنُوا بِالنُّورِ لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّورِ».

وَلا شَكَّ، صَديقي المُسْتَمِع، أنَّ الَّذي يَسيرُ برِفْقَةِ السيِّدِ المَسيحِ يَسيرُ في النُّور، ويَكونُ ابْنَ النُّور. بِعِبارَةٍ أُخرى، فَهُوَ لا يَتَخَبَّطُ في الظَّلام، وَلا يَعيشُ في ظِلِّ الخَوْفِ؛ بَلْ يَتَحَرَّرُ بالتَّمام لأنَّ حُضورَ يَسوعَ يُحَوِّلُ أيَّ ظُلْمَةٍ في حَياتِهِ إلى نُوْر!

وَكما نَعْلَمُ، فَقَدْ كَانَ الفَرِّيسيُّونَ يَتَحَيَّنونَ الفُرْصَةَ للقَبْضِ عَلى يَسوعَ. لَكِنَّهُ كَانَ كُلَّ الوَقْتِ مُمْسِكًا بِزِمامِ الأُمورِ وَالأَحْداثِ. فَلا بُدَّ للصَّلْبِ أنْ يَتِمَّ في عِيْدِ الفِصْحِ لِكَيْ يُكَمِّلَ المَعْنى الرَّمْزِيَّ لِهَذا العِيْدِ. لِذَلِكَ، فَإنَّنا نَقْرَأُ هُنا أنَّ يَسُوعَ تَكَلَّمَ بِهذا ثُمَّ مَضَى وَاخْتَفَى عَنْهُمْ.

ثُمَّ نَقْرَأُ في إنْجيل يُوحَنَّا 12: 37:

وَمَعَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَنَعَ أَمَامَهُمْ آيَاتٍ هذَا عَدَدُهَا، لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ،

فَهُناكَ اعْتِقادٌ شائِعٌ خَاطِئٌ عِنْدَ كَثيرينَ وَهُوَ أَنَّهُ إنْ أمْكَنَ للإنْسانِ أنْ يَرى مُعْجِزَةً مَا، فَهُوَ سَيُؤمن! لَكِنَّ هَذا الاعْتِقادَ لا أساسَ لَهُ مِنَ الصِّحَّةِ. فَقَدْ رَأى النَّاسُ في زَمَنِ يَسوعَ مُعْجِزاتٍ لا تُعَدُّ وَلا تُحْصى على يَدَيْهِ؛ لَكِنَّهُمْ لَمْ يُؤمِنوا بِهِ!

وَيَقولُ البَشيرُ يُوحَنَّا في العَدَد 38 إنَّ عَدَمَ إيمانِ كَثيرينَ بيسوعَ المَسيح حَدَثَ إتْمامًا لِنُبوءَةِ النبيِّ إشَعْياءَ الذي قالَ:

«يَا رَبُّ، مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟ وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟»

ثُمَّ نَقْرَأُ في الأعداد 39 41:

لِهذَا لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يُؤْمِنُوا. لأَنَّ إِشَعْيَاءَ قَالَ أَيْضًا: «قَدْ أَعْمَى عُيُونَهُمْ، وَأَغْلَظَ قُلُوبَهُمْ، لِئَلاَّ يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ، وَيَشْعُرُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَيَرْجِعُوا فَأَشْفِيَهُمْ». قَالَ إِشَعْيَاءُ هذَا حِينَ رَأَى مَجْدَهُ وَتَكَلَّمَ عَنْهُ.

فَقَدْ تَنَبَّأَ النبيُّ إشَعْياءُ بأنَّ المَسِيَّا سَيُحْتَقَرُ وَيُرْفَضُ مِنَ النَّاس. وَقالَ عَنْهُ أيْضًا إنَّهُ **''رَجُلُ أوْجاعٍ وَمُخْتَبِرُ الحَزَن''**. لَكِنْ مِنَ العَجيبِ حَقًّا أنْ نَقْرَأ هُنا أنَّهُمْ **''لَمْ يَقْدِروا أنْ يُؤمِنوا''**! فَمَعَ أنَّهُمْ رَأوا المُعْجِزاتِ التي صَنَعَها يَسوعُ، لَمْ يَقْدِروا أنْ يُؤمِنوا!

وَقَدْ حَذَّرَ الربُّ يَسوعُ في مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الأناجيلِ مِنْ خُطورَةِ الخَطيئَةِ التي لا تُغْفَر؛ أيْ مِنَ إصْرارِ الإنْسانِ عَلى رَفْضِ تَبْكيتِ الرُّوحِ القُدُسِ لَهُ. فَإذا اسْتَمَرَّ الإنْسانُ في رَفْضِ يَسوعَ المَسيحِ المَرَّةَ تِلْوَ المَرَّة، فَإنَّ قَلْبَهُ سَيَتَقَسَّى أكْثَرَ فَأكْثَر! فَإنْ وَاظَبْنا على تَكْرارِ أمْرٍ مَا، فَإنَّ عُقولَنا تَعْتادُ عَلَيْهِ وَيَصيرُ تَغْييرُهُ صَعْبًا إنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحيلًا!

وَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ هِيَ حَالُ الفَرِّيسيِّينَ في زَمَنِ يَسوع. فَقَدْ شاهَدُوا بِأُمِّ أعْيُنِهِمْ قِيامَةَ لِعازَرَ مِنَ المَوْتِ. وَلأنَّهُمْ لَمْ يَتَمَكَّنوا مِنْ إنْكارِ هَذا الدَّليلِ أوْ دَحْضِه، فَقَدْ رَاحُوا يَتآمَرونَ لا لِقَتْلِ يَسوعَ فَحَسْب، بَلْ وَلِقَتْلِ لِعازَرَ أيْضًا! فَبِسَبَبِ عِنادِهِمْ المُسْتَمِرِّ، فَقَدْ تَقَسَّتْ قُلوبُهُمْ وَلَمْ يَعُدْ بِمَقْدورِهِمْ أنْ يُؤمِنوا!

وَمَعَ ذَلِكَ، فَإنَّ اللهَ العَلِيَّ هُوَ إلَهُ كُلِّ نِعْمَة. فَإنْ دَرَسْنا احْتِمالاتِ إيمانِ شَخْصٍ في السَّبْعينَ مِنْ عُمْرِهِ بيسوعَ المَسيح، سَنَجِدُ أنَّ الاحْتِمالَ ضَئيلٌ جِدًّا، بَلْ رُبَّما مُسْتَحيلٌ! لَكِنَّ أُناسًا كَثيرينَ يُؤمِنونَ بيسوعَ المَسيحِ وَهُمْ في سِنِّ الشَّيْخوخَةِ! فَكَيْفَ نُفَسِّرُ ذَلِكَ؟ إنَّ التَّفْسيرَ الوَحيدَ هُوَ أنَّ اللهَ الحَيَّ هُوَ إلَهُ المُعْجِزاتِ، وَأنَّهُ إلَهُ كُلِّ نِعْمَةٍ. لِذَلِكَ فَقَدْ قَالَ السيِّدُ المَسيحُ في إنْجيل مَتَّى 19: 26: **''هذَا عِنْدَ النَّاسِ غَيْرُ مُسْتَطَاعٍ، وَلكِنْ عِنْدَ اللهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ''**.

إذًا، فَقَدْ أصَرَّ هَؤلاءِ على إغْلاقِ عُيونِهِمْ؛ فَأعْمَى اللهُ عُيُونَهُمْ. وَأصَرُّوا عَلى تَقْسِيَةِ قُلوبِهِمْ عَنْ سَابِقِ قَصْدٍ وَتَصْميمٍ؛ فَأغْلَظَ اللهُ قُلُوبَهُمْ. وَهَذا يُذَكِّرُنا بِما حَدَثَ مَعَ فِرْعَوْن في زَمَنِ مُوسى. فَلأنَّهُ قَسَّى قَلْبَهُ المَرَّةَ تِلْوَ الأُخرى، فَقَدْ حَكَمَ على نَفْسِهِ بِنَفْسِه إذْ صَارَ قَلْبُهُ أقْسى مِنَ الحَجَر.

ثُمَّ نَقْرَأُ في العَدَد 42:

وَلكِنْ مَعَ ذلِكَ آمَنَ بِهِ كَثيرُونَ مِنَ الرُّؤَسَاءِ أَيْضًا، غَيْرَ أَنَّهُمْ لِسَبَبِ الْفَرِّيسِيِّينَ لَمْ يَعْتَرِفُوا بِهِ، لِئَلاَّ يَصِيرُوا خَارِجَ الْمَجْمَعِ،

وَمَعَ أنَّهُ مِنَ المُفْرِحِ أنْ نَقْرَأ أنَّ كَثيرينَ مِنَ الرُّؤساءِ آمَنُوا بيسوعَ، فَإنَّ مَا نَقْرَأُهُ في العَدَدَيْن 42 و 43 يُحْزِنُ القَلْبَ حَقًّا إذْ يَقولُ لَنا البَشيرُ يُوحَنَّا إنَّهُمْ لَمْ يَعْتَرِفوا بيسوعَ خَوْفًا مِنَ الفَرِّيسِيِّينَ لِئَلَّا يُطْرَدُوا خَارِجَ المَجْمَع. بِعِبارَةٍ أُخرى، فَقَدْ:

أَحَبُّوا مَجْدَ النَّاسِ أَكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللهِ.

وَهَذا هُوَ الخَصْمُ الرَّهيبُ لأيِّ إنْسانٍ: أنْ يُحِبَّ مَجْدَ النَّاس أكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللهِ!

ثُمَّ نَقْرَأُ في الأعداد 44 46:

فَنَادَى يَسُوعُ وَقَالَ: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِي، لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي. وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي. أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ.

وَقَدْ قالَ الرَّسولُ بولُس في رِسالَتِهِ الأولى إلى أهْلِ تَسالونيكي 5: 4 و 5: **''وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فَلَسْتُمْ فِي ظُلْمَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكُمْ ذلِكَ الْيَوْمُ كَلِصٍّ. جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلاَ ظُلْمَةٍ''**. وَهُوَ يَقولُ أيضًا في رِسالَتِهِ إلى أهْلِ أفَسُس 5: 8: **''لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً، وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ''**.

وَيُتابِعُ يَسوعُ كَلامَهُ في إنْجيل يُوحَنَّا 12: 47 قائِلًا:

وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ.

وَقَدْ صَرَّحَ يَسوعُ بِهَذا مَرَّاتٍ عَديدَة! فَقَدْ قَالَ لِنيقوديموس في إنْجيل يُوحَنَّا 3: 16 18: **''لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ''**. وَهُوَ يَقولُ هُنا: **''إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ''**. وَيا لَها مِنْ إرْساليَّةٍ مَجيدَةٍ حَقًّا! فَهُوَ لَمْ يَأتَ كَيْ يَدينَ العَالَمَ، بَلْ لِيُخَلِّصَ العَالَم! لكِنَّهُ سَيأتي ثانِيَةً! وَحينئذٍ، فَهُوَ لَنْ يَأتي لِتَخْليص العَالَمِ، بَلْ سَيأتي للدَّينونَة. لِذَلِكَ، فَهُوَ يَقولُ في العَدَد 48:

مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. اَلْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ،

فَعِنْدَما يُدانُ النَّاسُ، سَيُدانونَ حَسَبَ كَلِمَةِ اللهِ. فَإنْ كَانُوا قَدْ رَفَضوا يَسوعَ المَسيحَ وَلَمْ يَقْبَلوا كَلامَهُ، فَإنَّ الكَلامَ الذي تَكَلَّمَ بِهِ يَسوعُ هُوَ الذي يَدينُهُم في اليَوْمِ الأخير.

وَيُتابِعُ يَسوعُ حَديثَهُ قائِلًا في العَدَدَيْن 49 و 50:

لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ. وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ وَصِيَّتَهُ هِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ. فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ، فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هكَذَا أَتَكَلَّمُ».

يُؤكِّدُ الربُّ يَسوعُ هُنا أنَّهُ كَانَ طَوالَ حَياتِهِ على الأرْض مُطيعًا للآبِ السَّماويِّ، وَأنَّهُ لَمْ يَتَكَلَّمْ إلَّا بالأمورِ التي قالَها لَهُ اللهُ الآبُ. وَلأنَّهُ كانَ يَعْلَمُ أنَّ وَصايا اللهِ الآبِ هِيَ حَياةٌ أبديَّةٌ لِكُلِّ مَنْ يُؤمِنْ بِها، فَقَدْ عَمِلَ على تَوْصيلِ الرِّسالَةِ بِأمانَة!

[الخاتمة]
(مُقَدِّم البرنامج)

مَعَ أنَّ يَسوعَ المَسيحَ يَمْلِكُ كُلَّ سُلْطانٍ كَيْ يَدينَ، فَقَدِ أعْطى كُلَّ الدَّيْنونَةِ للآبِ قائِلًا: **''إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ''**. وكَما عَلَّمنا الرَّاعي ''تشك سميث'' اليومَ، فَإنَّ الوَقْتَ لا يَزالُ مُتاحًا لِتَوصيلِ رِسالَةِ الإنْجيلِ إلى الأشخاصِ الذينَ لَمْ يَسْمَعوا بِها مِنْ قَبْل عَلَّهُمْ يَقْبَلونَها ويَنالونَ الخَلاص!

(مُقَدِّم الحَلْقَة)

في الحَلْقَةِ القادِمَةِ مِنْ بَرْنامَج ''الكَلِمَة لِهَذا اليَوم''، سَوْفَ يُتابِعُ الرَّاعي ''تْشَك سميث'' دِراسَتَهُ وَتَأمُّلَهُ في إنْجيلِ يُوحَنَّا مُرَكِّزًا على أهميَّةِ غَسْلِ يَسوعَ أرْجُلَ تَلاميذِهِ. لِذَلِكَ، أرْجو، صَديقي المُسْتَمِع، أنْ تَكونَ بِرِفْقَتِنا وَأنْ تُصْغي إلينا في المَرَّةِ القادِمَة.

وَالآنْ، نَتْرُكُكُمْ، أعِزَّاءَنا المُسْتَمِعينَ، مَعْ كَلِمَةٍ خِتاميَّة.

[كَلِمَة خِتاميَّة]
(الرَّاعي تْشَك سميث)

يا لَها مِنْ مَأساةٍ كَبيرَةٍ أنْ يُقالَ عَنْ شَخْصٍ مَا إنَّهُ أحَبَّ مَجْدَ النَّاسِ أكْثَرَ مِنْ مَجْدِ اللهِ! وَمِنَ المُؤسِفِ حَقًّا أنَّ هَذِهِ الكَلِماتِ تَنْطَبِقُ على أُناسٍ كَثيرينَ مِمَّنْ يَهْتَمُّونَ بِرَأيِ الآخرينَ فِيْهِمْ أكْثَرَ مِمَّا يَهْتَمُّونَ بِرأيِ اللهِ! لِذَلِكَ، لَيْتَ الربُّ يُعْطينا جَميعًا أنْ نَكونَ مَرْضِيِّينَ أمَامَهُ لأنَّ الكِتابَ المُقَدَّسَ يُعَلِّمُنا أنَّ رَحْمَتَهُ أفْضَلُ مِنَ الحَياة! آمين!